فوضى الاخلاق ٢

وصلنا من البحث السابق إلى أن الشهوة البهمية استولت على الكبير منا والصغير ، وتمكنت من النفوس تمكن الروح من الجسم ، وسرت فى جميع الأوساط سريان الدم فى العروق . فلا عجب إذا قلنا اليوم إن هذه الحالة عسير إصلاحها ؛ أو على الأقل تستنفد كثيراً من الجهود ، وتقطع كثيراً من الزمن ، حتى تعم الثقافة جميع الطبقات ، وينتشر العلم بين الجميع ؛ وحينئذ يحسون من أنفسهم مبلغ الضرر الذي ينجم من إطلاق الحرية للنفوس ، ويدركون خطر هذه الشهوة التى فتكت بالأنسانية الناعسة وأضرت ، بالجموعة العالمية ضررا بليغاً ، ويعلمون علم اليقين أن تعاليم الدين لم تصدر عبثا جبرا بغت للأنسان حدوده ، وحظرت عليه تخطيها ، وأعدت عقابا صارما لمن ينتهكها ؛ « ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون »

أسرف الغربيون فى ارتكاب الموبقات ، ولم يقفوا عند أي حد من الشهوات ، معللين ذلك بأن لهم من تعاليم دينهم ما يبيح ذلك ؛ وما هى إلا عشية أو ضحاها حتى درس الكثيرون آداب الأسلام ، وأكبوا على دراسته ، والعمل بأخلاقه ، فأيقنوا أن السعادة المطلقة مصدرها الأسلام ، وأن الشقاء فيما دون ذلك ، وأصبحوا اليوم ينادون بين قومهم وعشيرتهم بخطر هذه الشهوات والموبقات على الأنسانية ، وأن كل الشرور والمنكرات مصدرها ارتكاب الموبقات ، فاستجاب لندائهم من تثقف بالمعارف الطبية ، وتغذى بنور الحكمة ، وأعرض عنهم الذين فى آذانهم وقر وفى قلوبهم مرض ، الذين يرسلون إلينا فى الفترة بعد الفترة ذوقهم للتهتك ، وموبقاتهم الرذيلة ، فيمزيد الأسف أخبرك أيها القارئ أننا أصبحنا عالة على غيرنا من الغربيين الذين استكملوا ثقافتهم وفرغوا من ضروراتهم فاشتغلوا بكمالاتهم ، فما كان منا إلا أن تركنا الضروريات واشتغلنا بسفساف الأمور ، وأهملنا كمالاتهم ، فقلدناهم فى كل شؤونهم إلا جدهم ، واتبعناهم فى كل مفاسدهم إلا الصالح من أعمالهم وهاهى تفد علينا كل يوم من الغرب « موضة » جديدة تؤخر الشرقيين عامة ومصر خاصة وتخرجهم من لغتهم وآدابهم وقوميتهم وعاداتهم وتقاليدهم

أحجم الشبان عن الزواج ورأوا فيه رأيهم ، وهو أنه يقيد النفوس ويفنيها الحرية ، وتغالى الآباء فى مهور بناتهم ، وجعلوها سلعا تباع وتشترى بالجم الغفير من المال ، وفرضوا للزوجية فروضا

قليلة نفرت الشبان من الزواج ، فكانت النتيجة متكافئة من جهة الشباب والشابات ، كل قد وقع في فخ الآخر ، واختلطوا بطريقة منافية للآداب ، عجلت بقشر الثمرة ، فما أطيش عقول الشباب ، وما أجهل الآباء ، وما أقل حياء الشابات ؟

ليت الشبان قد أحجموا عن الزواج وامتنعوا عنه بنظرية أبي العلاء المعري ! الذي امتنع درءاً لشقاء ذريته من بعده ، واعتقاده بأن جناية الآباء على الأبناء جناية لا تغتفرها الأيام ، ولا يبررها المنطق السليم .

على أن أبا العلاء المعري أحجم عن الزواج فصان الفضيلة ، وابتعد عن الرذيلة ؛ وامتنع عما يدنس الشرف ويثلم العرض ، والعكس في هذه النظرية كان امتناع الشبان وإحجامهم عن الزواج عدم تقيدهم بموانعه ومخاصمهم من المسئولية الملقاة على عاتقهم ، فتهوروا وطاشوا واندفعوا يتهافتون على الفتيات تهافت الذئب على فريسته ، وراحوا ينصبون لهن الحبائل في كل مكان ، وانتزع الحياء من وجوههم وأصبحت أفعالهم لا يحابيها خجل ولا يرضاها إلا خب لئيم

غاضت الغيرة العربية من النفوس ، وانتزعت النخوة من المسلمين فإذا رأى أحدهم منكراً أعرض عنه ونأى ، دون أن يحرك منه ساكنا ، أو يثنيه منه ضميرا أو يوقظ فيه وازعا . فهذه امرأة سافرة وقد وضعت المساحيق على وجهها وبدنها ، وهذا شاب ينأبط ذراع معشوقته ، وهذا رجل يغازل فتاة على مرأى ومسمع من الجميع ، وهذا مسلم يشرب الخمر في (البارات) وهذا وهذا .. مما لا يحصيه العد ولا يقع تحت الحصر ، كل ذلك يحدث أمام أعيننا ، ويقع تحت مشاهدتنا ، وكأنها أشياء عادية ليس لها مساس بالدين ، فهل بعد ذلك فوضى خلقية ، وهل حالة مثل حالتنا هذه يرجى منها صلاح ؟

تتقدم الأمم الغربية كل يوم خطوات ، وتبني مجدها عاليا . وتشيد صرح آدابها وأخلاقها متينا ونحن كل يوم في تأخر مستمر ، وما ذلك إلا أننا أهملنا العمل بآداب ديننا ، وحجرنا السعادة الكاملة المنشودة فيه ، وتخلقنا بآداب قوم لا أخلاق لهم ولا دين . ولا يعلم إلا الله أيستمر تأخرنا هذا على حالة مدى الأيام ، أم يسرع تأخرنا إلى الوراء بقرون وقرون ؟

(فيحت يقية) محمود إبراهيم الدسوقي